والاستدراك الذي أفاده (لكن) ناشئ عن المقدمتين اللتين تضمنتهما جملتا (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون) لأن ذلك يثير فرض سائل يسأل عن الموجب الذي أقحمهم في الصد عن المسجد الحرام ويحسبون أنهم حقيقون بولايته لما تقدم عن الكشاف فحذف مفعول (يعلمون) لدلالة الاستدراك عليه لتعلق الاستدراك بقوله (وما كانوا أولياءه) .

وإنما نفى العلم عن أكثرهم دون أن يقال ولكنهم لا يعلمون فاقتضى أن منهم من يعلم أنهم ليسوا أولياء المسجد الحرام وهم من أيقنوا بصدق الرسول A واستفاقوا من غفلتهم القديمة ولكن حملهم على المشايعة للصادين عن المسجد الحرام العناد وطلب الرئاسة وموافقة الدهماء على ضلالهم وهؤلاء هم عقلاء أهل مكة ومن تهيأ للإيمان منهم مثل العباس وعقيل بن أبي طالب وأبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وخالد بن الوليد ومن استبقاهم ا للإسلام فكانوا من نصرائه من بعد نزول هذه الآية .

(وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون [35])

معطوفة على جملة (وهم يصدون عن المسجد الحرام) فمضمونها سبب ثان لاستحقاقهم العذاب وموقعها عقب جملة (وما كانوا أولياءه) يجعلها كالدليل المقرر لانتفاء ولايتهم للمسجد الحرام لان من كان يفعل مثل هذا عند مسجد ا لم يكن من المتقين فكان حقيقا بسلب ولاية المسجد عنه فعطفت الجملة باعتبارها سببا للعذاب ولو فصلت باعتبارها مقررة لسلب أهلية الولاية عنهم لصح ذلك ولكن كان الاعتبار الأول أرجح لأن العطف أدل عليه مع كون موقعها يفيد الاعتبار الثاني .

والمكاء على صيغة مصادر الأصوات كالرغاء والثغاء والبكاء والنواح . يقال مكا يمكو إذا صفر بفيه ومنه سمي نزع من الطير المكاء بفتح الميم وتشديد الكاف وجمعه مكاكئ بهمزة في آخره بعد الياء وهو طائر أبيض يكون بالحجاز .

وعن الأصمعي قلت لمنتجع بن نبهان " ما تمكو " فشبك بين أصابعه ثم وضعها على فمه ونفخ .

والتصدية التصفيق مشتقا من الصدى وهو الصوت الذي يرده الهواء محاكيا لصوت صالح في البراح من جهة مقابلة .

ولا تعرف للمشركين صلاة فتسمية مكائهم وتصديتهم صلاة مشاكلة تقديرية لأنهم لما صدوا المسلمين عن الصلاة وقراءة القرآن في المسجد الحرام عند البيت كان من جملة طرائق صدهم إياهم تشغيبهم عليهم وسخريتهم بهم يحاكون قراءة المسلمين وصلاتهم بالمكاء والتصدية قال مجاهد " فعل ذلك نفر من بني عبد الدار يخلطون على محمد صلاته " وبنو عبد الدار هم سدنة

الكعبة وأهل عمارة المسجد الحرام فلما فعلوا ذلك للاستسخار من الصلاة سمي فعلهم ذلك صلاة على طريقة المشاكلة التقديرية والمشاكلة ترجع إلى استعارة علاقتها المشاكلة اللفظية أو التقديرية فلم تكن للمشركين صلاة بالمكاء والتصدية وهذا الذي نحاه حذاق المفسرين : مجاهد وابن جبير وقتادة ويؤيد هذا قوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) لأن شان التفريع أن يكون جزاء على العمل المحكي قبله والمكاء والتصدية لا يعدان كفرا إلا إذا كانا صادرين للسخرية بالنبي A وبالدين وأما لو أريد مجرد لهو عملوه في المسجد الحرام فليس بمقتض كونه كفرا إلا على تأويله بأثر من آثار الكفر كقوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر) .

ومن المفسرين من ذكر أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت عراة ويمكون ويصفقون روى عن ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفقون ويصغرون وعليه فإطلاق الصلاة على المكاء والتصدية مجاز مرسل قال طلحة بن عمرو : أراني سعيد ابن جبير المكان الذي كانوا يمكون فيه نحو أبي قبيس فاذا صح الذي قاله طلحة ابن عمرو هذا فالعندية في قوله (عند البيت) بمعنى مطلق المقاربة وليست على حقيقة ما يفيده (عند) من شدة القرب .

ودل قوله (فذوقوا العذاب) على عذاب واقع بهم إذ الأمر هنا للتوبيخ والتغليط وذلك هو العذاب الذي حل بهم يوم بدر من قتل وأسر وحرب " بفتح الراء " (بما كنتم تكفرون) أي بكفركم فما مصدرية و (كان) إذا جعل خبرها جملة مضارعية أفادت الاستمرار والعادة كقول عايشة . " فكانوا لا يقطعون السارق في الشيء التافه " وقول سعيد بن المسيب في الموطأ " كانوا يعطون النفل من الخمس " .

A E